

الأستاذة: أنيسة بن جاب الله

المحاضرة الأولى: إرهاصات النقد العربي المعاصر

تمهيد

لم يكن النقد العربي المعاصر نتيجة امتداد للفكر النقدي العربي القديم فقط ولا تطوراً لفكر الجماعات النقدية الحديثة التي عرفت في بدايات القرن العشرين؛ لكنه كان ثمرة لما وصفه بعضهم بحركة **المثاقفة النقدية**؛ حيث انتقل التوجه النقدي الجديد الذي استجد في النقد الغربي إلى النقد العربي عبر هذه المثاقفة التي غذتها وسائط مختلفة ساهمت في سرعة التأثير بمناهج النقد الغربية الجديدة وتطبيقاتها.

وقد لاقت النظريات والمناهج النقدية المستجدة في الغرب القبول والترحاب عند النقاد العرب الذين تطلعوا نحو التجديد والخروج من عباءة البلاغة العربية القديمة من جهة والبحث عن نظريات ومناهج نقدية جديدة تفتح لهم مجالات جديدة في ممارسة النقد، وتنويعات منهجية تسهل البحث في أنواع النصوص الأدبية المختلفة. وتعد المحاولات الأولى لفهم النظريات الغربية والترجمات المختلفة لمصادر هذه المناهج والنظريات ثم الانتقال إلى محاولات التأليف -التنظيري والتطبيقي- فيها، الإرهاصات الأولى للنقد العربي المعاصر.

1 - مراحل التأثر بالنقد الغربي

عرف النقد الغربي ظهور تيارات نقدية جديدة غيرت ملامح دراسة النص الشعري والنثري، وكان ذلك مع أول ظهور لما يعرف بمدرسة **النقد الجديد** بدايات القرن العشرين، لتتوالى بعدها المناهج الشكلية والبنوية والسوسولوجية والنفسية وغيرها باكتساح مجال التنظير والتطبيق في النقد الأدبي؛ وقد صدرت بالضرورة المؤلفات التي تضمنت أفكار أصحابها التجديدية وتطبيقاتهم على نماذج الأدب الغربي.

وكان النقد العربي سابقاً لتلقي هذه النقلة الجديدة في النقد عبر مراحل زمنية، وقد فصل في هذه المراحل الدكتور **عمر عيلان** في كتابه **النقد العربي الجديد**.

أ - مرحلة السبعينات:

ظهرت في هذه المرحلة مجالات كثيرة ومهمة في مختلف بلدان الوطن العربي، اتفقت أغلب مقالاتها في التنظير والتطبيق للنقد الأنجلو- أمريكي أو ما يعرف بالنقد الجديد.

وأشهر هذه المجالات مجلة شعر التي أسسها الشاعر الناقد يوسف الخال سنة 1957م؛ حيث كرس مقالات هذه المجلة جهودها في "الانفتاح على النقد الأنجلو- أمريكي الذي طغى عطاؤه وانتشر فيما بين الحربين العالميتين. ويعد يوسف الخال..أحد الشعراء النقاد المؤثرين في النقد العربي الحديث، إلى جانب توفيق الصانع و جبرا إبراهيم جبرا و خالدة سعيد وآخرين."

ومن المجالات الرائدة أيضا مجلة فصول في القاهرة، ومواقف والفكر العربي المعاصر والكرمل في لبنان، وآفاق والثقافة الجديدة في المغرب، والقلم والفكر والحواليات التونسية والحياة الثقافية في تونس، والمعرفة والموقف الأدبي والآداب الأجنبية في دمشق. وقد أسهم كتاب مقالاتها في عرض معطيات النقد الجديد تنظيرا وتطبيقا وأبرزهم: كمال أبو ديب، محمد بنيس، صلاح فضل، يمني العيد، إلياس خوري، محمد مفتاح، عبد السلام المسدي، خالدة سعيد وغيرهم.

وقد ميز مرحلة السبعينات في النقد العربي "تياران هما الخطاب النقدي الشكلي و الخطاب النقدي الاجتماعي البنيوي التكويني."

ب - مرحلة التسعينات والثمانينات:

ميز هذه المرحلة التطور التكنولوجي الذي أدى بدوره إلى تطور وسائل التواصل والنشر؛ وبرزت مجلات عربية بقوة في ساحة النقد المعاصر، مثل مجلة فصول التي صدرت عن الهيئة المصرية العامة للكتاب من سنة 1980م، وقد غطت هذه المجلة موضوعات مهمة ومختلفة في الدراسات النقدية وكانت مرجعا أكاديميا مهما للباحثين في قضايا النقد المعاصر ونظرياته ومناهجه. وكذلك فعلت مجلة علامات التي تصدر عن النادي الثقافي بجدة منذ سنة 1991م. ونذكر أيضا مجلة آفاق الصادرة عن اتحاد كتاب المغرب، وقد أسهمت بإصدارها عددا خاصا يترجم أعمالا أساسية لأقطاب حركة النقد الجديد في مجال السرد من مجلة تواصلات الفرنسية، وقد أصبح هذا العدد مرجعا أساسيا لطرائق تحليل النص السردي وفقا لمناهج النقد الجديدة.

2 - روافد النقد العربي المعاصر

أ- الترجمة:

كان للترجمة الدور الأساس في انتقال النموذج النقدي الغربي الجديد إلى ساحة النقد العربي المعاصر؛ فبداية التعرف على الحداثة النقدية الغربية كانت عبر ترجمات تضمنتها مقالات مختلفة -أسلفنا الحديث عنها- لبواكير الكتابات النقدية عند أشهر النقاد الغربيين في

مجالي الشعر والنثر. ولم تتوقف الترجمة عند المقالات بل تعدتها إلى ترجمة الكتب النقدية لأقطاب الحركة النقدية الجديدة من بيانات مختلفة. وقد هيأت الترجمة "للباحثين والدارسين مجموعة من الأفكار والنظريات والمنهجيات النقدية، التي كان لها تأثيرها الواضح على توجهات النقد العربي المعاصر عموماً والنقد الروائي تحديداً."

والناتج من حركة الترجمة لكتب النقد الغربية لا يتسع المقام لإحصائه، لكننا نذكر بعضها ضمن مجالها النقدي؛ حيث تركزت الترجمات العربية في فترة السبعينات حتى التسعينات "حول التوجهات البنيوية ثم يليها الاتجاه البنيوي التكويني، ثم يأتي في المرحلة الأخيرة النقد النفسي. وتشكل هذه السيرورة مؤشراً على درجة تأثر النقد الروائي العربي بهذه المناهج."

فما تُرجم من الموروث الشكلائي كتب **تودوروف**؛ ككتاب **الشعرية** الذي ترجمه كل من **شكري المبخوت** و **رجاء بن سلامة** سنة 1978م، وكتاب **نظرية الأدب** الذي ترجمه **إبراهيم الخطيب** بعنوان: **نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلايين الروس**، سنة 1982م.

بالإضافة إلى ترجمة كتب مهمة في مجال البنيوية السردية ككتاب **مورفولوجيا الخرافة** ل**فلاديمير بروب** ترجمه **الخطيب** سنة 1989م.

وترجم **محمد البكري** كتاب **مبادئ في علم الدلالة** سنة 1983م في مجال السيميائيات، وترجم **منذر عياشي** كتاب **رولان بارت: لذة النص**، وعن البنيوية التكوينية ترجم **مصطفى المسناوي** عن كتاب **لوسيان غولدمان: الإله المتوارى ماوسمه المنهجية في علم الاجتماع الأدبي**، وأضاف **بدر الدين غرودكي** ترجمة أخرى لفكر **غولدمان** عنوانه: **مقدمات في سوسيولوجية الرواية**. وفي الاتجاه السوسيولوجي نجد ترجمة **عايدة لطفي** لكتاب **النقد الاجتماعي- نحو علم اجتماع للنص الأدبي** سنة 1991م.

وفي مجال النقد النفسي لا نكاد نطلع بترجمات متكاملة متخصصة لقلة اهتمام النقاد والمترجمين بهذا المجال، فمن هذه الترجمات القليلة نجد كتاب: **رواية الأصول وأصول الرواية** ل**مارت روبير** ترجمه **وجيه سعد** سنة 1987م، كتاب **التحليل النفسي والأدب** ل**جان بيلمان** نويل ترجمه **عبد الوهاب ترو** سنة 1996م.

والملاحظ للترجمات الكثيرة والمتنوعة في نظريات ومناهج النقد الجديدة أنها لم تكن متناسقة ولا متكاملة من حيث المواضيع ولا المدة الزمنية التي صدرت فيها، "الشيء الذي ينعكس سلباً على قدرة تمثّل التصور النظري والفلسفي الشامل للمنهج". بالإضافة إلى الاضطراب في ترجمة المصطلح النقدي التي أضحت إشكالية فيما بعد سببها هو التعدد والتشتت في مصطلح النقد المعاصر.

ب - حركة التأليف في النقد العربي المعاصر

انتقلت جهود النقاد العرب إلى التأليف بعد وعي واستيعاب للحركة النقدية الجديدة بفضل الترجمة. وقد عرفت حركة التأليف العربية في مجال الشعر والنثر اتساعا كبيرا يحول دون حصر كل المؤلفات النقدية؛ لذلك سنذكر بعضا منها مما تميز بالدقة والاشتمال على التنظير والتطبيق والإحاطة بالنظرية والمنهج النقدي.

من أهم الكتب التي قدمت ونظرت للبنىوية في العالم العربي كتاب: **مشكلة البنية لـ زكريا إبراهيم، وكتاب نظرية البنائية لـ صلاح فضل.**

وجاء كتاب **كمال أبو ديب: جدلية الخفاء والتجلي،** ليمزج بين التنظير والتطبيق على نماذج من الشعر العربي.

ويعد كتاب **نبيلة إبراهيم: قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية** الصادر سنة 1974م من الكتب النقدية الأولى التي تطرقت للتحليل المورفولوجي للحكاية مستفيدة بما قدمه فلاديمير بروب في هذا المجال ، ثم أضافت كتابا آخر هو **نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة** سنة 1980م، وقد تطرقت فيه إلى المناهج النقدية الشكلانية والبنىوية والسيمائية في شقها السردي.

نصل في ختام هذه المحاضرة إلى أن إرهاصات النقد العربي المعاصر مصدرها هو الحركة النقدية الغربية الجديدة وما أفرزته من نظريات ومناهج جديدة غيرت من نظرة النقد للأدب، وقد أسهم التطور الحضاري في مجالات تكنولوجيا التواصل وسهولة النشر والاطلاع على منابع الأولى لأقطاب حركة النقد الجديدة في سهولة الوصول إلى المصادر النقدية الجديدة سواء أكانت مقالات أو مؤلفات تنوعت توجهاتها ومجالاتها بين الشعر والنثر. وأهم روافد النقد المعاصر في ذلك هي الترجمة التي شغلت حيزا كبيرا من مقالات المجالات العربية والكتب المتفردة أيضا، والرافد الآخر هو حركة التأليف التي لمع فيها نجم نقاد عرب كثر وزعوا جهودهم على مجالات الشعر والنثر العربي.

مصادر المحاضرة:

إبراهيم خليل: **المثاقفة والمنهج في النقد الأدبي** مساهمة في نقد النقد

عمر عيلان: **النقد العربي الجديد**